المحاضرة الرابعة: هيجل والفلسفة التاريخية للفن(Hegelian Aesthetics)

مع جورج فيلهلم فريدريش هيجل، يتحول الفن من مجرد حكم ذوقي (كما عند كانط) إلى مرحلة أساسية من مراحل تطور "الروح المطلق .(Absolute Spirit) "محاضرات هيجل في الاستاطيقا تقدم رؤية شمولية لتاريخ الفن، تربط تطور الأشكال الفنية بتطور الوعي البشري بالحرية والألوهية[1].

الفن كتجلي للحقيقة(Sensuous Shining of the Idea)

يعرف هيجل الجمال الفني بأنه "التجلي الحسي للفكرة". الفن، الدين، والفلسفة كلها تهدف لنفس الغاية: إدراك المطلق (الحقيقة/الله). الفن يقوم بذلك عبر "الحس" (الحجر، اللون، الصوت)، الدين عبر "التمثل" (القصص والعقائد)، والفلسفة عبر "الفكر المجرد[14]."

جدلية تطور الأشكال الفنية

يقسم هيجل تاريخ الفن إلى ثلاث مراحل كبرى، تعكس الصراع بين "المضمون الروحي" (الفكرة) و"الشكل المادي:"

1. الفن الرمزي) - (Symbolic Art) الشرق القديم، مصر والهند:(

في هذه المرحلة، الروح لا تزال غامضة وغير محددة، فتبحث عن شكل مادي يحتويها فلا تجد ما يناسبها. النتيجة هي أشكال ضخمة، غامضة، وغرائبية & Colossal) Grotesque).الأهرامات، المعابد الهندية المتعددة الأذرع، هي محاولات يائسة للمادة لترمز إلى روح لم تفهم ذاتها بعد. الشكل هنا يطغى على المضمون، والعلاقة بينهما هي "الغموض".14

2. الفن الكلاسيكي) - (Classical Art) اليونان القديمة:(

هنا يحدث التوازن المعجزة. الروح تدرك أن شكلها الطبيعي الأنسب هو "الجسم البشري". في التماثيل اليونانية، نجد تماهياً تاماً بين الفكرة والشكل. الروح حلت في المادة بانسجام تام. بالنسبة لهيجل، هذا هو قمة "الجمال" الفني الخالص.16

3. الفن الرومانسي) - (Romantic Art) الفن المسيحي وما بعده:(

في هذه المرحلة، تنمو الروح وتتعمق (مع المسيحية والوعي بالذات) لدرجة أن المادة لم تعد تتسع لها. الروح تفيض عن الشكل وتتجاوزه. يعود الفن للتركيز على "الداخل " .(Inwardness)تتراجع الفنون المادية (النحت والعمارة) لصالح الفنون الأكثر تجريداً وروحانية: الرسم (البعدين)، الموسيقى (الصوت بلا مكان)، والشعر (المعنى الذهني الصرف). هنا يبدأ الفن في "تفكيك" جانبه المادي.16

أطروحة "نهاية الفن(The End of Art) "

تعد هذه الأطروحة الأكثر إثارة للجدل في فلسفة هيجل. لا يقصد هيجل أن الأعمال الفنية ستتوقف عن الظهور، بل يقصد أن الفن فقد وظيفته العليا كـ "أسمى وسيلة لإدراك الحقيقة". في العصر الحديث، أصبح الفكر (الفلسفة والعلوم) هو الوسيلة الأنسب للحقيقة. الفن لم يعد يشبع حاجاتنا الروحية العليا كما كان يفعل للإغريق أو في العصور الوسطى. لقد أصبح الفن موضوعاً للتأمل الفكري، للدراسة التاريخية، وللنقد. الفن "مات" بمعنى أنه تحول من "مقدس" إلى "موضوع للمعرفة[17]".